الحلقة 11

أحمد بن رزق الأسعد

إعداد: مازن خرابة

يعد العمل الخيري والإحسان للآخرين سمة بارزة في الكويت، فمنذ القدم جبل أهل الكويت على حب الخير و حرصوا على الإحسان للآخرين، لمساعدة المحتاجين، وتقرباً إلى الله عز وجل. فكانوا يفرحون بحب الناس، ودعواهم لهم بالخير والفلاح.

فقدم هؤلاء نماذج رائعة في الأعمال الخيرية داخل الكويت وخارجها أبرزها عمارة العديد من المساجد ، وكفالة الأيتام، وتأسيس عدد من المدارس الإسلامية.

فأهل الخير والإحسان في الكويت أكثر من أن نحصيهم ونعدهم، وبخاصة في الشدائد والمحن التي ظهر فيها معدنهم الأصيل، إذ تنافسوا في عمل الخير و بذل المعروف، فأنفقوا على الفقراء والمساكين وذوي القربى وأبناء السبيل، وبنوا المساجد والمدارس والمعاهد والمستشفيات ودور الأيتام وحفروا الآبار، فملأت سيرهم العطرة الآفاق، ونحن في «الوسط» سنقوم بنشر سير بعض المحسنين العطرة عبر هذا الشهر الفضيل في حلقات يومية، اقتباساً من كتاب « محسنون من بلدي».

ويعد الكتاب الذي أصدره بيت الزكاة على عدة أجزاء لمحة وفاء، وتوثيقاً لسير المحسنين وتذكرة بأعمالهم الخيرة، وتخليداً لذكراهم العطرة. وسنتوقف في هذه الحلقة مع سيرة أحمد بن رزق الأسعد.

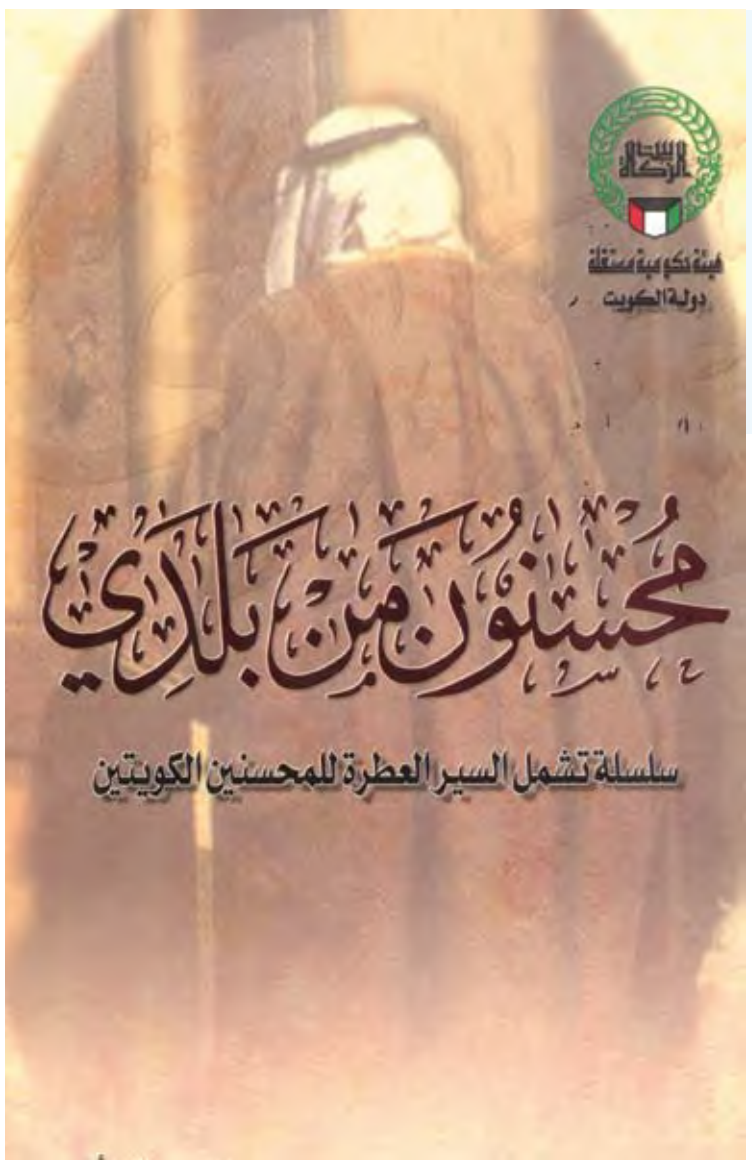

◆ شارك والده في أعماله التجارية.. فاكتسب مهارة وخبرة وكوَّن ثروة كبيرة

◆ كان أول من استخدم السفن الكبيرة للسفر والتجارة فيها

◆ كان من أبرز أوجه الإحسان في حياته تشييده لمسجد السوق الكبير

المولد والنشأة

هو أحمد بن حسين بن رزق الأسعد، المولود في الكويت عام 1137هـ، الموافق لعام 1725م. من أشهر رجالات الجزيرة العربية في ذلك الوقت، نشأ وترعرع في الكويت، التي كانت بلدة صغيرة في الحجم وعدد السكان، وعندما شب شارك في إدارة أمورها، وساعد على تصريف شؤونها، وقد ذكر ذلك الشيخ عثمان بن سند الذي ألف كتاباً عنه أسماه «سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد»، : وقال فيه «وقد أبرزته قدرة القادر من الرحم الطيب الطاهر منتخباً لأزكى العناصر في بلدة مصغرة، فكبّرها، حتى تبوأها ودبر أمورها»

تعود أصوله إلى عائلة «ابن رزق» من بني خالد، التي كانت تحتل مكانة عالية في المجتمع الكويتي، بين أسرة تعد من أزكى الأسر وأغناها وأكرمها في ذلك الوقت، يقول الأستاذ فرحان الفرحان في مقال له بجريدة الأنباء: «إنها أوشكت على الانقراض من تاريخ الكويت، مع عائلات أخرى بأكملها بسبب الطاعون الذي أصاب الكويت وغيرها من البلاد عام 1247 ه الموافق لعام 1831 م، فقضى على معظم أهلها».

ويروي الشيخ عبد العزيز الرشيد في كتابه (تاريخ الكويت) كيف حفظ الله الكويت من العدم والفناء بقوله: «في سنة 1247 ه (1381 م) أصيبت الكويت بطاعون عظيم، قضى على كثير من أهلها، حتى كادت تصبح منه قفراً يباباً، لولا المسافرون من أهلها، الذين لم يعودوا إليها إلا بعد صفاء جوها من تلك الظلمة، ولكن وجدوا الطاعون قد فتك بكثير من نسائهم، فاضطُروا إلى استقدام عوضهن من البلاد المجاورة كالزبير ونجد وغيرهما، وبذلك حفظوا البلد من العدم والفناء».

تجارته

شارك الشيخ أحمد بن رزق والده في أعماله التجارية، فاكتسب مهارة وخبرة وكوَّن ثروة كبيرة، حتى عُدَّ من كبار التجار. فقد قال عنه عبد الله بن خالد الحاتم «إن أول من جلب الأخشاب الضخمة لصناعة السفن الشراعية بمختلف أحجامها هو الشيخ أحمد بن رزق الأسعد وكان ذلك في مطلع القرن الثالث عشر الهجري».

ويضيف المؤرخ سيف مرزوق الشملان قائلاً: «ومن المرجح أن الشيخ أحمد هو أول من استخدم السفن الكبيرة للسفر في الكويت. وقد عثر بعضهم على كتاب له بعث به إلى أحد ولاة بغداد يخبره فيه عن وصول الأخشاب التي طلبها من النيبار في الهند، وأنها في إحدى سفنه بطريقها إلى البصرة».

أوجه الإحسان في حياته

شهد هذا الرجل فترة تأسيس دولة الكويت، وقد أبلى في ذلك بلاءً حسنا، حيث قيل عنه إنه أول من جلب الأخشاب إلى الكويت، وأول من استخدم السفن الكبيرة للسفر والتجارة فيها، وقد كان واسع الثراء والكرم، وقد ذكر ذلك عنه الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في كتابه «صفحات من تاريخ الكويت» فقال: «.. وهذا الرجل صار له منصب عال في زمنه عند الأمراء ورجال الحكومة العثمانية، وكان يجمع بين المال والأدب والكرم».

مسجد السوق الكبير

تأسيس مسجد السوق الكبير

كان من أبرز أوجه الإحسان في حياة الشيخ أحمد بن رزق تشييده لمسجد السوق الكبير، الذي ظل المسجد الرسمي للدولة حتى بناء المسجد الكبير الحالي، وقد أسسه على نفقته الخاصة عام 1209 ه الموافق لعام 1794 م، (أي قبل 15 سنة من وفاته)، وهذا ما ذكره عنه حمد محمد السعيدان في الجزء الثاني من كتابه «الموسوعة الكويتية المختصرة».

كما ذكر ذلك السيد عدنان بن سالم الرومي الباحث في التراث الديني الكويتي في كتابه»تاريخ مساجد الديرة» في معرض حديثه عن تاريخ بناء هذا المسجد قائلاً: « إن مسجد السوق الكبير قد تأسس في عام1209 هـ(4971 م)، وإنه كان يعتبر من أكبر مساجد الكويت وقت بنائه، وكان يقع ولا يزال في السوق الداخلي».

وقد قام المرحوم يوسف بن عبدالله الصقر بمساعدة بعض أهل الخير بإعادة بناء هذا المسجد عام 1255 ه (1839 م).

ثم قامت حفيدته المرحومة شاهة حمد الصقر بترميمه وتجديده على نفقتها الخاصة عام 1356 ه (1937) م.

جعل الله تعالى هذا العمل في ميزان حسناتهم جميعاً.

وهذا المسجد لا يزال قائماً إلى الآن بعد أن جددته دائرة الأوقاف العامة عام1372 ه الموافق لعام 1953 م.

تأسيس أم قصر

هناك صفحات مشرقة تزين تاريخ الشيخ أحمد بن رزق الأسعد، لا يمكن أن يغفلها أحد، وهي حافلة بالإنجازات الكبرى، منها تأسيس «أم قصر» وإليه تنسب هذه المنطقة، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى القصر الفخم الذي بناه فيها، وسوّره بسور حصين، واتخذه مشتىً له، وداراً ربيعية، كهمزة وصل لنقل البضائع واستيرادها.

وقد كان ذلك القصر سبباً في حفظ حدود الكويت قديماً أيام حكم الشيخ مبارك الصباح (رحمه الله).

تنقلاته

حفلت حياة هذا الرجل بالتنقلات العديدة بين البلدان، كما جاء في كتاب «سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد» لمؤلفه عثمان بن سند الفيلكاوي، وهو المرجع الأساسي الذي يحوي أخبار هذا الرجل وعائلته، قال: «الشيخ أحمد بن رزق له مكانة بارزة في الكويت والبلاد المجاورة لها، وقد ترك بلاده الكويت إلى قطر فعمرها، وعاش فيها فترة،

وعمل هناك بتجارة اللؤلؤ. وفي سنة 1212 ه (1797) م توجه إلى البحرين بعد أن استولى سليمان بن طوق على قطر، ثم اتجه ابن رزق إلى البصرة بعد أن ترك البحرين سنة 1215 ه (1800) م، حيث أقام في البحرين ثلاث سنوات، بعدها انتقل إلى البصرة وعاش فيها تسع سنوات.

قالوا عنه

قال عنه فرحان الفرحان في مقال سالف الذكر في مجلة مرآة الأمة:

هذا الرجل كانت له صولات وجولات، فيجب علينا أن نقيد ونسجل تاريخه من ضمن الخالدين، فهو لا يقل أهمية عن الرجال الذين ذُكروا في أعمال الخير في الكويت.

وذكر إبراهيم صالح بن عيسى– صاحب كتاب «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم»– الشيخ أحمد بن رزق في معرض ذكره لأحداث سنة 1224 ه فقال: « وفي هذه السنة توفي . التاجر المشهور أحمد بن محمد بن حسين بن رزق وقيل إنه خلَّف من الأموال ما قيمته ألف ألف ومائة ألف ريال.

وابن رزق هذا أصله من آل رزق، أهل «حرمة»، وانتقلوا منها وسكنوا في بلدة «الغاط»، وهم من بني خالد .

وفاته

بعد عمر ناهز السبعة والثمانين عاماً، قضى أكثره في الترحال وعمل الخير في كل مكان يحل به، توفي المحسن أحمد بن رزق في البصرة عام1224 ه الموافق لعام 1809 م .

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

مسجد السوق بعد تجديده من قبل دائرة الأوقاف العامة

الصفحة الأخيرة من كتاب «سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد»